**العقيدة الدرزية**

***بحث فى : بقية الفرق المنتسبه للاسلام***

 ***إعداد / أيمن محمد أبوبكر***

 ***قسم الدعوة وأصول الدين***

***كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية***

 ***شاه علم - ماليزيا***

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : العقيدة الدرزية**

**الكلمات الافتتاحيه : الدرزيه، العقيده، الحاكم**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة العقيدة الدرزية**

* ***.عنوان المقالة***

العقيدة الدرزية: يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله، ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع، ويقول الدكتور/ مصطفى الشكعة : "الحديث عن العقيدة الدرزية أمر لا يخلو من كثير من الحرج، فالقوم وإن كانوا يتصفون بالأخلاق الكريمة، والمروءة والوفاء والوطنية، لكن طبيعة الستر الذي يسدلونه على عقائدهم جعلت الناس يذهبون في ذلك المذاهب شتى، فإن من الكتَّاب من نسب إليهم ما يخرج بهم عن حظيرة الإسلام، بل ما يسيء إلى مسلكهم الخلقي، ومن أجل ذلك سأحاول أن أقدم عقيدة الدروز من واقع الكتب التي تعرضت لهم سواء أكان ذلك لهم أم عليهم، مع معرفتي واتصالي بكبار رجالهم، ومن قد سمحت لهم طبيعة المذهب أن يصرحوا به.

 فهم يؤمنون بألوهية الحاكم، والذي لا شك فيه أن الدروز أتباع للحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي المعروف، وقد كثرت أقوال المؤرخين حول الحاكم، فأكثر المؤرخين أيد أن الحاكم قد ادعى الألوهية فترة من حياته، ثم عاد وعدل عنها، ثم عاد مرة أخرى وادعى تجسم الإله وحلوله في شخصه، وظل على دعواه تلك إلى أن اختفى، موتا أو قتلا أو غيبة حسب اختلاف مسميات وفاته، وأن داعية من دعاته اسمه "مشتكين" الدرزي، قد بشر بألوهيته بين سكان وادي التيم في الأقطار الشامية، فآمن القوم به، بل هناك من يقول بأن من المحتمل أن يكون ادعاء الحاكم للألوهية، ليس إلا نتيجة لتعاليم "مشتكين" المذكور.

وأصحاب هذا الرأي لا يقصرون أمر تأليه الحاكم على "مشتكين" وحده، بل يذكرون أن حمزة بن علي أكثر الناس التصاقًا به، وصفيه وفيلسوف المذهب قد صنف كتبًا ذكر فيها أن روح الله حلت ثم انتقلت إلى علي بن أبي طالب، وأن روح علي انتقلت إلى العزيز، ثم إلى ابنه الحاكم؛ وإذن فالحاكم في نظر حمزة، واتباعه إله بطريق الحلول، كما أن له في تأليه الحاكم كلاما كثيرا، وكان لحمزة أنصار كثيرون آمنوا بفكرته في الحاكم، وجاهروا بنشر هذه الدعوة الجديدة، ولعل أكثرهم حماسًا، رجلًا يقال له حسن بن حيدرة الفرغاني الأخرم، وقد قرَّب الحاكم هذا الرجل إليه وخلع عليه، ولكن فكرة تأليه الحاكم لم تلقَ غير الاشمئزاز والسخرية من الناس، فتقدم رجلٌ كرخي ذات يوم من الأخرم، وألقاه عن فرسه ثم قتله، فما كان من الحاكم إلَّا أن أمر بقتل الكرخي، غير أن الناس انتهزوا الفرصة، فهاجموا دار الأخرم ونهبوها.

فالدروز في نظر تلك الطائفة من المؤرخين، هم الذين آمنوا بألوهية الحاكم، وقد أدى ذلك إلى فتنة كبرى في صفوف طائفة الإسماعيلية، الأمر الذي استدعى حميد الدين الكرماني -أكبر علماء الإسماعيلية- إلى أن يترك مقره بالعراق، وأن يفد إلى مصر؛ لكي يساهم في القضاء على تلك العقيدة الجديدة، وأن يكتب رسالة عُرفت باسم (الرسالة الواعظة)، يثبت فيها كفر من تحدثه نفسه بتأليه الحاكم بأمر الله، ولم يترك الكرماني مصر إلَّا بعد قتل الحاكم بأمر الله؛ ولذلك فإن الدروز يعتبرون أول فرقة انشطرت عن فرقة الإسماعيلية.

تأليه الحاكم في مصحف (المنفرد بذاته):

لقد كان حمزة بن علي، مؤسس العقيدة الدرزية والملقب في مصحف (المنفرد بذاته)، بالرقيب العتيد، قد وضع ميثاقًا أطلق عليه ميثاق وليّ الزمان، ذهب فيه إلى تأليه الحاكم بأمر الله تأليهًا صريحًا، وأوجب على كل من يمارس شعائر دينه أن يعترف بكل محتوياته، وأن يتعهد بالإيمان بكل فقراته، أما مقدمة الميثاق فهذا نصها طبقًا لما جاءت في مصحف (المنفرد بذاته):

هذا هو الميثاق والعهد الذي أمر مولانا الحاكم -جل ذكره- بكتابته على جميع الموحدين الذين آمنوا به -جل ذكره- وليوفوا بعهدهم الذي عاهدوا يا أبناء إسحاق، ثم وليشهد بذلك ذَووا عدل من الموحدين السابقين على كل ميثاق، ومن آب من آمن من الكفر، ولم يول وجهه قبل القادر القاهر مولانا الحاكم البار، فلسوف يجعل له مولانا فتنة ومتاعًا إلى حين، وهذا ما يكتبه ويشهد به الشاهدان ذوا العدل بلسان الفرد وإيقانه، وهاك هو، أي: أن هذا الميثاق، فذلك نصه:

"توكلت على مولانا الواحد، توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، ألا تأخذه سنة ولا نوم، ذي التجلي والإشراق، ومن هو في السماء إله، وفي الأرض إله، قد أقر فلان بن فلان إقرارًا أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه في جميع أدواره في الصحة من عقله وجسمه وخالص أمره، طائعًا غير مكره ولا مجبر، بظاهره وبباطنه، ومؤمنًا غير منافق ولا مخاتن، إنه قد تبرأ من جميع الديانات والمذاهب والمقالات، والاعتقادات جميعًا بتباينها واختلافها، وأنه لا يشرك في عبادة مولانا الحاكم -جل ذكره- أحدًا ماضيًا أو حاضرًا أو آتيا، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله، وولده، وجميع ما ملكته يداه في جميع أدواره، ما كرَّ الجديدان ومر الملوان، وما كور الليل على النهار، وكور النهار على الليل، هو وذريته في شتى أدوارهم ومحياهم لمولانا الحاكم -جل ذكره- ورضي بجميع أحكامه له وعليه، غير معترض أو منكر شيئًا من أفعاله، ساءه ذلك أم سره، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم -جل ذكره- وهو ما كتب على نفسه، وأشهدنا به على روحه، أو أشار بالرجوع عنه إلى غيره، أو خالف شيئًا من أوامره، كان فلان بن فلان محرومًا من جميع الحدود، وكان مولانا الحاكم -جل ذكره- بريئًا منه والمؤمنون الموحدون في جميع أدوارهم، واستحق العقوبة من الباري العلي -جل ذكره- بأيدي المؤمنين، وأن فلان بن فلان هو قد أقر أن ليس في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلا مولانا الحاكم -جل ذكره، وتعالت مطالعه ومشارقه- وبذلك دخل فلان بن فلان، وأصبح من الموحدين المؤمنين الفائزين السابقين. كُتب في شهر كذا، من سنة كذا، منسين عبد مولانا -جل ذكره- ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين المرتدين بسيف مولانا -جل ذكره- وبشدة سلطانه وحده، ثم يوثق على هذا الميثاق شاهد وكاتب.

إن هذا النص، مأخوذ من مصدر موثق غير مطعون فيه، يدل دلالة واضحة على أن الحاكم بأمر الله، مؤلَّه عند كثير من الطائفة المتدينة من الدروز.

هذا؛ وتدور أعراف مصحف (المنفرد بذاته)، أي: سوره -إن صح أن تسمى سورًا- على محور واحد، هو تأليه الحاكم بأمر الله، ففي عرف صلاة الفجر يرد هذا النص: "تفكر بهذه الصلاة يا أبا إسحاق، وتمعن في بيانها بالتوجه إلى مولانا الحاكم الخالق، وصل له غب كل فجر؛ كي يمر عليك طيب نسيم العرفان".

وهكذا، إلى آخر تلك النصوص، أو إلى آخر تلك الترهات.

إذن؛ فهم مع قولهم بألوهية الحاكم، يعتقدون وجود مصحف يؤمنون به يسمى (المنفرد بذاته)، ونلحظ في هذا المصحف، وفي أعرافه عدة أمور تلفت النظر بشدة:

أولها: تأليه الحاكم بأمر الله تأليهًا صريحًا

وثانيها: اقتباس آيات من القرآن الكريم، أو فقرات من بعض الآيات، وربطها بجمل العرف وكأنها جزء منه.

وثالثها: تحريف بعض جمل القرآن الكريم واستبدال لفظة غير قرآنية بأخرى قرآنية، مع المحافظة على المعنى القرآني في نطاق هذه الجملة وتلك.

 ورابعها: الإتيان بالجمل القرآنية، واستبدال اللفظة غير القرآنية بأخرى قرآنية مع مخالفة المعنى القرآني.

وخامسها: تقليد الإيقاع القرآني والإتيان بفقرات قرآنية من سورة ما، ومحاولة الربط بين هذه وتلك في نطاق المعنى المستهدف.

على أن مصحف (المنفرد بذاته)، أحيانًا لا يكتفي في أعرافه بمجرد تأليه الحاكم بأمر الله، وسوق عبارات تسبيحه، وإنما يعمد إلى استعمال تعبيرات وتوجيهات، واتهامات يجد القارئ نفسه مضطرًا لأن يقف عندها طويلًا، محاولًا استنطاقها مجهدًا ذهنه في فهم كنهها، مستهدفا إدراك ما ترمي إليه؛ ذلك لأن فيها الكثير من ألفاظ الضلالة والمخادعة والكفر والنفاق، مقرونة بذكر الصلوات ذات الركوع والسجود، وهي خمس صلوات كل يوم، وأن الذين يؤدون هذه الصلوات يتجهون بأجسادهم إلى بيت الحجارة.

إن هذه الصيغ المثيرة، تحتشد بشكل ملفت للنظر في عرف صلوات الشرائع، وإن لم يوضح أي الشرائع هي، وقد يكون من المفيد إثبات نص هذا العرف، وهو كما يلي: "يا أيها الموحدون خذوا حذركم، يود الذين ظلوا على أصنامهم عاكفين لو يرجعونكم إلى دينهم وعقائدهم الباطلة، فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وحق، إن صلاتهم ذات الركوع الجسدي والسجود الظاهري، واتخاذهم كلام الكتاب رئاءً، ووسيلة يخادعون بها الله الحاكم البر والموحدين، وما يخدعون إلا أنفسهم وهم يعلمون، لقد ضل قوم اتجهوا بأجسادهم إلى بيت حجارة قلوبهم، وغلوا في كفرهم، فألبس عليهم كل يوم خمس صلوات، وضلوا عن نهج صاحب البيت -جل ذكره- وهو معهم، وتجلى لهم في مشرق شمس ناسوتية ذات المشرقين والمغربين، تعالى الله مولى الموالي عن نقص المنتقصين، وبهتان المتكبرين وفي أنفسهم وما يبصرون، وغرتهم الأماني أماني أصنام كعبتهم وأربابها، يا أيها الذين سمعوا بآذان قلوبهم، شدوا طير التوحيد على أفنان أشجار العرفان والتأييد، زكوا أنفسكم من القرب والاستماع إلى ضلالات قوم استحبوا العمى على الهدى، واعلموا أن مولاكم هو رب المشارق والمغارب، وأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله مولاكم الحاكم".

ومجمل القول في مصحف (المنفرد لذاته)، أنه فيما تدل نصوصه كتاب منزل من الحاكم بأمر الله على وزيره ومشيره حمزة بن علي، الذي يعتبر رسول الحاكم إلى الناس، ومن يطلع على هذا الكتاب تقع عيناه على عبارات تأليه الحاكم بأمر الله في كل عرف من أعرافه، وفي أكثر صفحاته، ثم هو بعد ذلك محاولة لتقليد أسلوب القرآن الكريم، ويضم عددًا غير قليل من آيات القرآن، ولكنه يجريها في خدمة تأليه الحاكم بأمر الله هذا، فضلًا عن تحريف كثير من آيات القرآن الكريم، أو الإتيان بآية من هنا وجملة قرآنية من هناك، ومحاولة الربط بينها، والذهاب بها جميعًا بعيدًا عن معنى النص القرآني، وتكريسها لهدف تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي.

وتأتي بعد هذا الكتاب رسائل حمزة في تأليه الحاكم، كما يؤكد كتاب (النقط والدوائر)، على ألوهية الحاكم تأليهًا شديدًا، وقد ذكر بعض التصرفات التي كان يقوم بها الحاكم بأمر الله إبان خلافته في القاهرة، مثل المظاهر الفخمة كالخروج بالعساكر في المواكب حينًا، وإظهار الزهد وركوب الأتان حينًا آخر، فيقول: "فلما انوجد العزيز والحاكم، كملت المقامات الخمسة، وهي الإمامة الظاهرة، ومعنى ظاهرة؛ لأنه تولى الخلافة والملك والسلطنة، وأقام بدين التأبولية، وظهر بالمعجزات الباهرة، وبالقدرة العظيمة، وأفاض السجلات والمجالس وظهر بالعساكر العظيمة والجاه، وتم على هذه الحال مدة، ثم ظهر بالزهد وتنزه عن الدنيا، ولبس الصوف، وتربية الشعر وركوب الأتان، فلما تقضت مدة الإمامة تجرد الحاكم -تعالى بالوحدانية- في أول الثامنة، وأعطى الإمامة لصاحبها ومالكها بالحقيقة، حمزة بن علي -صلى الله عليه - وأعطى لعليّ الظاهر السلطنة ودين التأويل..." إلى آخر هذا النص.

وأما صور بعض الأنبياء، كما يراها مؤلف (النقط والدوائر)، يؤكد مرات عديدة على ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي، برسالة موسومة باسم (كشف الحقائق)، وهنا في وثيقة أخرى يعود؛ لكي يؤكد هذه الألوهية، ولكن صاحبها -أي: الحاكم بأمر الله- يظهر في فترات زمنية متباعدة، ثم لا يلبث أن يختفي لكي يعود إلى الظهور في فترة أخرى وهكذا دواليك، على أن النص الذي نحن بصدد تقديمه هنا، لا يكتفي بموضوع تأليه الحاكم بأمر الله في إحدى مراحل ظهوره وحسب، ولكنه يعرض لظهور بعض الرسل الكرام والأنبياء البررة، ثم آدم وشيث، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، ويجعل مؤلف الكتاب لكل نبي أساسًا، فآدم أساسه شيث، وإبراهيم أساسه إسماعيل، وموسى أساسه هارون، وعيسى أساسه شمعون، ومحمد أساسه علي بن أبي طالب.

والأمر الجدير بالغرابة، أن يذكر الأئمة الإسماعيلية السبعة، ويجعل من محمد بن إسماعيل صاحب أساس وكتاب وشريعة، أي: أنه نبي مرسل، كما أنه يحمل على شريعة نوح، ويصفها بأنها شريعة مذمومة، ويذكر سيدَنا محمد بما لا يليق أن يذكر به، وأعزف عن ذكر هذا النص الذي ضم كفرًا بواحًا.

فالدروز ينكرون الأنبياء والرسل جميعًا، بل ويلقبونهم بالأبالسة، ويعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة، ويبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة، ويستبيحون دمائهم وأموالهم، وغشهم عند المقدرة، ويعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها، وينكرون جميع أحكام، وعبادات الإسلام وأصوله كلها، ويحج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند، متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند، ولا يكون الإنسان درزيًّا إلا إذا كتب أو تلا الميثاق الخاص، ويقولون بتناسخ الأرواح، وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسد أسعد أو أشقى، وينكرون الجنة والنار، والثواب والعقاب الأخرويين، وينكرون القرآن الكريم، ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي، ولهم مصحفهم الخاص بهم المسمى بـ(المنفرد بذاته)، الذي أشرنا إليه.

ويرجعون عقائدهم إلى عصور متقدمة جدًّا، ويفتخرون بالانتساب إلى الفرعونية القديمة، وإلى حكماء الهند القدامى، ويبدأ التاريخ عندهم من سنة أربعمائة وثمانية من الهجرة وهي السنة التي أعلن فيها حمزة ألوهية الحاكم، ويعتقدون أن القيامة هي رجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة، وسحق المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض، وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد، ويفرضون الجزية والذل على المسلمين، ويعتقدون أن الحاكم أرسل خمسة أنبياء، هم: حمزة، وإسماعيل، ومحمد الكلمة، وأبو الخير، وبهاء، ويحرمون التزواج مع غيرهم والصدقة عليهم ومساعدتهم، كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة، ويحرمون البنات من الميراث، ولا يعترفون بحرمة الأخ والأخت من الرضاعة، ولا يقبل الدروز أحدًا في دينهم، ولا يسمحون لأحد بالخروج منه.

وينقسم المجتمع الدرزي المعاصر -كما هو الحال سابقا من الناحية الدينية- إلى قسمين: الروحانيين: وبيدهم أسرار الطائفة، وينقسمون إلى: رؤساء، وعقلاء، وأجاويد، والجسمانيين: الذين يعتنون بالأمور الدنيوية، وهم قسمان: أمراء، وجهال.

أما من الناحية الاجتماعية، فلا يعترفون بالسلطات القائمة، إنما يحكمهم شيخ العقَّل ونوابه وفق النظام الإقطاعي الديني، ويعتقدون ما يعتقده الفلاسفة من أن إلههم خلق العقل الكلي، وبواسطته وجدت النفس الكلية، وعنها تفرعت المخلوقات.

ويقولون في الصحابة أقوالًا منكرة، منها: قولهم الفحشاء والمنكر هما: أبو بكر، وعمر { وبرأهما مما يقولون.

التستر والكتمان من أصول معتقداتهم، فهي ليست من باب التقية إنما هي مشروعة في أصول دينهم، ومناطقهم خالية من المساجد، ويستعيضون عنها بخلوات يجتمعون فيها، ولا يسمحون لأحد بدخولها، ولا يصومون في رمضان، ولا يحجون إلى بيت الله الحرام، إنما يحجون إلى خلوة البياضة في بلدة حاصبية في لبنان، ولا يزورون مسجد الرسول ولكنهم يزورون الكنيسة المريمية في قرية معلولة بمحافظة دمشق، ولا يتلقى الدرزي عقيدته، ولا يبوحون بها إليه، ولا يكون مكلفًا بتعاليمها إلا إذا بلغ الأربعين، وهو سن العقل لديهم.

ويصنَّف الدروز ضمن الفرق الباطنية؛ لإيمانها بالتقية، والقول بالباطنية ،وبسرية العقائد، وتؤمن بالتناسخ، بمعنى: أن الإنسان إذا مات فإن روحه تتقمص إنسانًا آخر يولد بعد موت الأول، فإذا مات الثاني تقمصت روحه إنسانًا ثالثًا، وهكذا في مراحل متتابعة للفرد الواحد.

وللأعداد: خمسة وسبعة، مكانة خاصة في العقيدة الدرزية.

والعقيدة الدرزية حسب كتاب (النقط والدوائر)، الذي يعد أهم كتب العقيدة الدرزية، والذي تغلب نسبته إلى حمزة بن علي، الذي يحتل من العقيدة فوق ما يحتل أي نبي بالنسبة لرسالته، وإن كان من المحتمل أن يكون الكتاب ليس من وضع حمزة وحده، وإنما هو من وضع حمزة وآخرين ممن اعتنقوا هذا المذهب، والحجة في ذلك هو اختلاف أسلوب الكتاب من باب إلى آخر، مع تباين النمط الفكري والتعبيري من فصل إلى فصل، ومن رسالة إلى أخرى، فبينما نراه عذب الأسلوب متقن الصياغة، متسلسل التفكير في رسالة بعينها، لا نلبث أن نجده رديء الأسلوب، مهلهل الصياغة، عي التعبير في رسالة أخرى، ربما كانت مقدمة الكتاب هي أبلغ ما فيه من حيث رشاقة الأسلوب، ووضاءة العبارة، وفيها يسميه مجموع الدرر والنوادر وكتاب (النقط والدوائر).

ويشرح المؤلف مقصده من ذكر النقط والدوائر، ومدلولات كل منها، فيقول في مقدمته: "إن الكتاب يحتوي على ذكر نقطة النور، ونقطة الظلمة، ونقطة الإبداع، ونقطة الحياة، ونقطة الطبائع الأولية الجزئية، ونقطة الطبائع الضدية الجزئية، ونقطة الهيول، ونقطة العالم العلوي، ونقطة العبادات، ونقطة البيكار، ونقطة الطبائع الدينية، ونقطة الفرض، ونقطة الإسقاط، ونقطة المقابلة بين الطبائع الولية والضدية".

هذا ما كان من أمر النقط، أما الدوائر، فإن المؤلف يذكر أنها دائرة النور، ودائرة الظلمة، ودائرة الإعلالية، ودائرة النفس، ودائرة الطبائع الضدية، ودائرة الطبائع الولية، ودائرة الأفلاك، ودائرة العبادات التوحيدية والتلحيدية، ودائرة الطبائع الدينية، ودائرة الفرائض الدينية، وبين الدعائم الناموسية، ودائرة المقابلة بين الطبائع الولية والضدية.

ويربط مؤلف (النقط والدوائر)، بين كل نقطة ودائرة، مصلحًا أساليب الفلاسفة عامدًا إلى الرمز حينًا، وإلى الإلغاز حينًا أخرى، فيقول: "فتوجهت لجمع ذلك معترفًا بضعف سيري، مغترفًا من بحر غيري، متوكلًا على ذي الجلال الإنسي، مستمدًّا طالبًا هداية الروح القدسي، فأقول وبالله المستعان بأنه لما كان الباري –سبحانه- موجودًا في وجوده السابق بذاته وكبريائه، وأزله اللائق بقدسه وعليائه ولا بدء لمعناه، ولا غاية لمنتهاه... إلى آخر هذا الكلام.

ويتحدث عن أهل التنزيل، وأهل التأويل، وعالم الهدى، ومسيرة الدعوة ،ويذكر قضية الأسس والمفرد أساس، كأن يكون فلان أساس فلان، والحديث عن دائرة البيكار، وفيها أربعة معان: مركز، ونقطة، ودائرة، ومقادير، ثم ينتهي مؤلف كتاب (النقط والدوائر)، إلى إصدار حكمه عن السابق، والتالي، والناطق، والأساس، على النحو التالي، فصار متولدًا عن السابق والتالي طبع الوجود والحياة، وعن الناطق والأساس طبائع العدم والموت والإحراق والفناء، ولما كان الناطق هو الرسول والنطقاء هم الرسل، فإن صاحب (النقط والدوائر)، يكون قد حمل عليهم، وذكرهم بما لا يليق أن تذكر به الأنبياء، ويصل مؤلف (النقط والدوائر)، إلى موضوع تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي للمرة الأخيرة، كما يتحدث عن الأركان الجديدة، أو البديلة عن أركان الإسلام.

ويذكر أيضًا دلالة الأعداد في العقيدة، فلبعض الأعداد دلالات خاصة في عدد من العقائد الدينية، وفي العقيدة الدرزية، يحتل كل من العدد: خمسة والعدد سبعة مكانة خاصة، فأما العدد خمسة: فتتمثل قدسيته في أن الحدود خمسة، وهؤلاء الحدود هم الممدون لكل ناطق وأساس، وللعدد سبعة مكانة لا تقل تقديسا عن مكانة العدد خمسة إن لم تزد عليها؛ لأنه فيما يذكر صاحب (النقط والدوائر)، علل العالم الروحاني سبعة، هم: الحدود الخمسة والناطق والأساس، وكذلك مدبرات العالم الجسماني سبعة، هي: زحل، والمشترى، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر، والأيام سبعة، والنطقاء سبعة، والأوصياء سبعة، والأئمة سبعة، والشرائع الظاهرة سبع، والشرائع الباطنة سبع، والفرائض التوحيدية سبع، ويستطرد المؤلف قائلًا: "واعلموا أن مولانا -جل ذكره- قد أسقط عنكم سبع دعائم تكليفية ناموسية، وفرض عليكم سبع خصال توحيدية دينية".

ويمضي إلى أن يحدثنا عن التقمص والتناسخ، حيث يؤمن الدروز بعقيدة التقمص، بمعنى: أن الإنسان إذا انتهت حياته وصعدت روحه، فإنها لا تذهب إلى الحياة البرزخية المعترف بها عند المذاهب الإسلامية، ولكنها تتقمص مولدًا جديدًا، روح الرجل تتقمص طفلًا وليدًا، وروح المرأة تتقمص طفلة وليدة، والتقمص كما فسر جانبًا منه كتاب (أضواء على مسلك التوحيد)، هو: تقلب الروح في شتى الأحوال؛ لكي يتسنى لها أن تختبر هذه الأحوال، فمن لم يتقبل نداء الحق حسب المعتقد الدرزي، لا يمكنه إلا أن يحصد نتيجة أعماله في حيواته التالية، والمفهوم من ذلك استنتاجًا هو العقاب الذي يكون مختلف الأنواع في حياة الشخص القادم في أدواره التالية، أو في قمصانه التالية حسب التعبير الحقيقي، وقد يكون العقاب فقرًا، أو تشويهًا، أو شقاءً، ولا أعتقد أنه يكون مسخًا.

كما يشير الكتاب إلى النطق، والنطق: هو أن الروح حين تنتقل من جسد إلى جسد، تحمل معلومات عن دورها في الجيل السابق، يعني: في الجسم الذي كانت تتقمصه قبل قميصها الحالي، وفي هذه الحالة تتحدث أو تنطق بما تذكره من وقائع عن حياتها السابقة.

ويشير الكتاب إلى الكلام عن الثواب والعقاب، حيث يكون الثواب والجزاء بمقدار ما تكتسبه النفس من المعرفة والعقيدة في أدوار تقمصها المتعاقبة، والعدل الإلهي اقتضى أن تحاسب الأرواح بعد مرورها في الدهر طويلًا، لا في مدى حياة واحدة بخيرها وشرها، وقصرها وطولها، حيث يمنحها الدهر الطويل فرص الاكتساب، والتطور، والامتحان، والتبدل؛ لكي تحاسب حسابًا عادلًا.

ويتحدث الكتاب عن يوم الدين، الذي هو ليس يوم قيامة إذ ليس فيه موت الأرواح، ولا قيامة، ولا بعث، ولا نشور، فالأرواح لا تموت لتبعث، ولا تنام لتوقظ؛ بل إن يوم الحساب، أو الدينونة هو نهاية مراحل الأرواح وتطورها؛ إذ يبلغ التوحيد حسب العقيدة الدرزية غايته من الانتصار على العقائد الشركية، وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المادية؛ لتتصل الأرواح الصالحة بالعقل الكلي، كلٌّ على قدر تكاملها؛ هذا هو يوم الحساب في العقيدة الدرزية، فهو نهاية النهايات، أما العقاب فهو: العذاب عن التقصير في الوصول إلى هذه الدرجات، وتلك المراتب والغايات.

هذا؛ ونشير إلى كتب الدروز:

لهم رسائل مقدسة، تسمى (رسائل الحكمة)، وعددها مائة وإحدى عشرة رسالة، هي من تأليف حمزة، وبهاء الدين، والتميمي، ولهم مصحف يسمى (المنفرد بذاته)، وكتاب (النقط والدوائر)، وينسب إلى حمزة بن علي، ويذهب بعض المؤرخين في نسبته إلى عبد الغفار تقي الدين البعقلي، الذي قتل سنة تسعمائة هجرية، و(ميثاق ولي الزمان)، كتبه حمزة بن علي، وهو الذي يؤخذ على الدرزي حين يعرف بعقيدته، و(النقض الخفي)، وهو الذي نقض فيه حمزة الشرائع كلها، وخاصة أركان الإسلام الخمسة، و(أضواء على مسلك التوحيد)، للدكتور/ سامي مكارم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

لقد تأثرت الدروز بالباطنية عمومًا، وخاصة الباطنية اليونانية متمثلة في "أرسطو"، و"أفلاطون"، وأتباع "فيثاغورث"، واعتبرهم أسيادهم الروحانيين، أخذوا جل معتقداتهم عن الطائفة الإسماعيلية، وتأثروا بالدهريين في قولهم بالحياة الأبدية، وقد تأثروا بالبوذية في كثير من الأفكار والمعتقدات، كما تأثروا ببعض فلاسفة الفرس، والهند، والفراعنة القدامى.

الانتشار ومواقع النفوذ:

يعيش الدروز اليوم في لبنان وسوريا وفلسطين، وغالبيتهم العظمى في لبنان، ونسبة كبيرة من الموجودين منهم في فلسطين المحتلة قد أخذوا الجنسية الإسرائيلية، وبعضهم يعمل في الجيش الإسرائيلي، وتوجد لهم رابطة في "البرازيل"، ورابطة في "استراليا" وغيرهم، ونفوذهم في لبنان الآن قوي جدًّا تحت زعامة وليد جمبلاط، ويمثلهم الحزب الاشتراكي التقدمي، ولهم دور كبير في الحرب اللبنانية، وعداوتهم للمسلمين لا تخفى على أحد، ويبلغ عدد المنتمين إليها حاليًا حوالي مائتي وخمسين ألف نسمة، موزعين بين سوريا "121" ألفًا، ولبنان "90" ألفا، والباقي في فلسطين وبعض دول المهجر.

ويتضح مما سبق، أن الدروز فرقة باطنية تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، نشأت في مصر وهاجرت إلى الشام، وينكرون الأنبياء والرسل جميعًا، ويعتقدون أن المسيح هو داعيتهم حمزة، وحسب هذا دليلًا على ضلالهم.

وصلة الدرزية بالباطنية أمر واضح ومعروف؛ فالعقيدة الدرزية لا تخرج عن معتقدات الباطنية بما زادوا عليه، ولهم تنظيمات درزية معروفة، والعقيدة الدرزية عقيدة باطنية، ولا يجوز لأحد الإطلاع على الكتب الدينية للدوز.

ويبقى بعد عرض الكلام عن الدروز، بيان فساد معتقداتهم:

أقول كما قال الأولون: يكفي في فضح الباطل عرضه، ويكفي أن يكون على رأس معتقدات الدرزية أنها آمنت بألوهية الحاكم، فجعلت البشر إلها، وزعمت فيه ما زعمت من حيث الكلام الذي أشرنا إليه، وهذا هو الخطر الأهم، والغلو بعينه، والكفر الذي لا يضاهيه كفر، حين يُزعَم في إنسان أنه إله، وأنه خالق مبدع، وأنه واحد أحد فرد صمد إلى آخر ما زعموه، فيما لا يكون إلا لله ، وقد جاء في أشعار شعرائهم في مدح الأئمة الخلفاء، مثل قول ابن هاني يمدح المعز:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
|  ما شئت لا ما شاءت الأقدار  | \* |  فاحكم فأنت الواحد القهار  |

وهكذا أعطوا الأئمة اختصاصات الله -تعالى الله علوًّا كبيرًا عما يقولون- على أساس أن لها عندهم اختصاصات العقل الأول.

ونرى التعقيد والتحايل في عقيدة الدروز، فهم يسمون الإله بالعقل الأول، الذي صدر عنه في النهاية هذا الكون، والإمام يمثل العقل الأول الكلي في الأرض، فيأخذ كل صفاته، وحين يجد الناس أن الإمام يوصف بهذه الصفات "فأنت الواحد القهار" مثلا، فما الذي يصدهم عن أن يؤلِّهوا الإمام، وهكذا سهَّلوا على الناس اعتقاد ألوهية الأئمة، ومهدوا لهم الطريق، ومن هنا كان شيوع القول بألوهية الأئمة.

وادعاء ألوهية الأئمة الفاطميين، لم يكن جديدًا على الشيعة، بل نجد أناسًا من قبلهم ادعوا ألوهية الأئمة، مثل الإمام علي بن أبي طالب > ثم إن أبا الخطاب الأسدي -تلميذ الإمام جعفر الصادق، والذي كان له تأثير كبير على ابنه إسماعيل- ادعى ألوهية جعفر، والإسماعيلية الأغاخانية الآن يدعون ألوهية إمامهم كريم خان، كما كانوا يدعونها لأغا خان، ومن قبلهم ادعى آخرون ألوهية الملوك والأشياء العظيمة كما في الهند، ويدعي كثير من المسيحيين ألوهية المسيح، فليس الإسماعيلية أول من ادعى ذلك، ولكنهم صاروا على الدرب القديم والحديث عند آخرين.

والباحث يستطيع أن يتعقب هذه العقائد ويردها إلى أصولها القديمة؛ ليجد أن دين الدروز هو خليط من أديان قديمة وحديثة من القدماء المصريين، والعبرانيين، والبابليين؛ حيث كانت البابلية تؤمن بعقيدة الأدوار السبعة، والأفلاطونية الحديثة، وعن "أفلاطون"، و"الزرادشتية"، و"فيثاغورث"، أخذوا عقائد أخرى وصبغوها بصبغة إسلامية، فكانت الدرزية جسمًا غريبا ألبسوه ملبسًا مكتوبًا عليه شعار إسلامي، والإسلام منهم براء؛ حيث لا يلتقون مع الإسلام لا من قريب ولا من بعيد، ولا ينبغي مناكحتهم، ولا ينبغي التزاور معهم.

وما قيل عن النصيرية في الحكم عليها، يقال عن الدرزية أيضًا.

**المراجع والمصادر:**

1. **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1389هـ**
2. **عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، الرياض، مكتبة الرشد، 1417هـ**
3. **الدكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمة، دراسات في الفرق ، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ**
4. **عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المعرفة للطباعة والنشر، 1976م**
5. **محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ**
6. **علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ،القاهرة، دار المعارف، 1981م**
7. **عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منه ، بيروت، دار الجيل، 1405 هـ**
8. **مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية، 2004م**
9. **إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل ، الرياض، طبع ونشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1404هـ**
10. **أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجماعية، 1982م**
11. **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1410هـ**
12. **محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1409هـ**
13. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1418هـ**